

المدخل النظرية لدراسة العائلة (النظرية التطورية)

ليس غريباً أن يطبق علماء الاجتماع فكرة أن العائلة تتطور خلال دورة حياتها كمنهج رئيس في دراساتهم العائلية وأن أحد اهتمامات المدخل التطوري هو معرفة المراحل التي تمر بها العائلة، فبينما يتفق أغلب علماء الاجتماع الذين يؤمنون بالنظرية التطورية على وجود أربع مراحل منطقية هي:

- التكوين.
- التوسع.
- التقلص.
- الانتهاء

إلا أنه لا يوجد اتفاق بينهم حول ما بعد هذه المراحل التطورية التجريدية. وترجع البدايات الأولى لاستعمال هذا المدخل إلى الثلاثينات من القرن العشرين بجماعتين من علماء الاجتماع حيث استخلصت كل مجموعة أربعة مراحل، عالم الاجتماع العائلي (كيركباتريك وزملاؤه) في سنة (1939) اختاروا التوكيد على المستوى الدراسي للأطفال. فكانت المراحل بالنسبة لهم:

- 1- عائلة أطفال ما قبل المدرسة.
- 2- عائلة أطفال المدرسة الابتدائية.
- 3- عائلة أطفال المدرسة الثانوية.
- 4- عائلة كل أفرادها من البالغين.

أما (رود جيرز) فقدم مراحل أكثر لتطور العائلة وكل مرحلة أكثر تعقيداً ومراحل دورة حياة العائلة في راية هي:

- 1- زوجان بدون أطفال.
- 2- كل الأطفال أعمارهم أقل من (36) شهراً.
- 3- أطفال ما قبل المدرسة وبها:
- الأكبر (3 - 6) والأصغر (أقل من 3 سنوات).
- كل الأطفال من (3 - 6 سنوات).
- 4- عائلة أطفال المدرسة:
- أطفال رضع.

- أطفال ما قبل المدرسة.
 - أطفال سن المدرسة.
 - 5- كل الأطفال في سن (13 - 20).
 - 6- عائلة البالغين وبها:
 - أطفال رضع.
 - أطفال ما قبل المدرسة.
 - أطفال سن المدرسة.
 - أطفال سن المراهقة.
 - كل الأطفال أكثر من (20 سنة).
 - 7- عائلة النشاط الحر وبها:
 - أطفال رضع.
 - أطفال ما قبل المدرسة.
 - أطفال سن المدرسة.
 - أطفال سن المراهقة.
 - أصغر الأطفال أكبر من (20 سنة).
 - 8- عائلة غادرها كل أطفالها إلى مرحلة التقاعد.
 - 9- التقاعد حتى وفاة أحد الزوجين.
 - 10- وفاة أحد الزوجين إلى مرحلة وفاة الزوج المتبقي.
- وهناك من العلماء من قدم تصوره لمراحل حياة العائلة على النحو الآتي:

1- البداية والتكوين.

2- الحمل و ما قبل الدراسة.

3- المدرسة الابتدائية.

4- المدرسة الثانوية.

5- الجامعة.

6- النقاهاة.

7- التقاعد.

أهم فروض النظرية التطورية

بالرغم من عدم اتفاق أصحاب النظرية التطورية على مراحل دورة حياة العائلة إلا أن هناك شبه اتفاق بين أغلبهم حول بعض الفروض التي أسست عليها هذه النظرية ومن أهمها:

1- هذا الإطار النظري السابق قد اعد لدراسة العائلة الحديثة الصغيرة النواة.

2- المفهوم الرئيس في هذه النظرية هو المهمة (الواجب) الذي ينجزه الفرد خلل حياته فإذا نجح فيه يكون سع قد حاز على السعادة والتوجه نحو الأعمال التالية، أمّا الفشل فيعني تعاسة الفرد ورفض المجتمع له ومواجهته صعوبات في مهامه التالية. وتنشأ هذه المهام أو الواجبات عند توفر عاملين رئيسيين هما:

- النضج الجسماني.

- الضغوط الثقافية، ومع ذلك فإنّ هذه المهام يتعين على الفرد مواجهتها وهي لا نهاية لها.

3- نجاح العائلة في واجباتها تعتمد على التفاعل المعقد لأفراد العائلة عند قيامتهم بمتطلباتهم التنموية، إذ أنّ الفعل ورد الفعل لكل عضو من حيث طريقة حياته وطريقة حياة غيره من أفراد العائلة له أهمية كبيرة.

4- بالرغم من أنّ هناك تشابه بين العائلة في نفس مرحلة التطور فإنّ كل عائلة لها طريقة منفردة ومختلفة في بناء الأدوار والمراكز الجنسية فيها.

5- أنّ العائلة لا توجد في فراغ اجتماعي، وهي عرضة للتأثر بنظم المجتمع مثل محيط العمل بالنسبة للوالدين الذي يعملون به وثقافة المدرسة بالنسبة للأطفال والجماعات المختلفة التي ينتسب إليها أفراد العائلة، وبالرغم من هذه النظم الخارجية لا تتحكم بالعائلة تحكماً كاملاً إلاّ أنّه لا يوجد أحد داخل العائلة لا يتأثر بها.

وباختصار فإنّ الاتجاه التطوري في تحليل العائلة يفترض أنّ كل العائلات تتطور خلال مراحل واضحة وبارزة وفي كل مرحلة على الأفراد داخل العائلة، وعلى العائلة ككل أنّ تؤدي مهام معينة ترتبط بتلك المرحلة في دورة حياة العائلة. بالإضافة على ذلك يجب أنّ يوضع في الاعتبار أنّ بعض ردود الفعل للحياة العائلية قد تتأثر بالمهام المطلوبة من مختلف مراحل تطور العائلة.

أ أنّ هذا المدخل النظري يركز على ديناميات العمليات الداخلية في دورة حياة العائلة الكبيرة والصغيرة، وأنّ النسق العائلي يتغير مع الوقت وعلى وفق التكوين العمري لأعضائه.

وقد وجهت عدة انتقادات إلى هذه النظرية لعل أهمها:

1- تركيزها الكبير على العائلة النووية الحديثة لاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد لا تنطبق مفاهيمها على العائلات أخرى التي لها مراحل حياة ومهام تنموية تطورية مختلفة.

2- تعطي أهمية كبيرة لإنجاب الأطفال وقد وضعت مراحل النمو أو التطور على أساس عمر الأطفال، وبذلك فإن دراسة العائلة التي ليس لها أطفال قد وردت كأمتثلة على المراحل الأولى لتطور العائلة.